القيم عند أطفال الشوارع من خلال عنف لغة الخطاب

د. بركو مزوز
قسم العلوم الاجتماعية
جامعة الحاج لخضر – باتنة

ملخص

يهدف هذا المقال إلى البحث عن وبائية ظاهرة أطفال الشوارع في العالم عامة وفي الجزائر على وجه الخصوص، اعتبارا من كون الظاهرة تستثير بظهورها اهتمامات الباحثين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم، ومن جهة أخرى تبحث الدراسة الحالية في فهم "إشكالية الشارع" وتداعياته على المنظومة القيمية على من يرتاده وتعوَّد المكوث فيه فترات من الزمن، وكيف تتميز لغة أطفال الشوارع وخصائصها التوصيفية ودلالاتها الاجتماعية. وقد كشفت لنا هذه الدراسة عن نتائج هامة تتمثل خاصة في كون ظاهرة أطفال الشوارع في تزايد وتنامي كبير على المستويين الدولي والمحلي، وبالنسبة للقيم التي يكتسبونها من خلال مكوثهم الدائم والمتواصل في الشارع فقد استقينا من خلال طبيعة لغة الخطاب لديهم، أن أطفال الشوارع يتبنون قيما خاصة وخطابا خاصا يفرضه مكوثهم في الشارع أكبر وقت ممكن، وكذا طبيعة هذا الفضاء الفيزيقي الذي يجبر مرتاديه على التفاعل بشكل يتناسب ومدة المكوث فيه .

الكلمات المفاتيح : أطفال الشوارع، القيم، عنف، الخطاب، اللغة، عنف اللغة.

Résumé

L'objectif de cet article est de relater l'ampleur du phénomène des enfants de la rue à l'échelle mondiale et plus spécifiquement en Algérie. Ce phénomène suscite l'intérêt de nombreux chercheurs de différentes disciplines. L'auteur de cet essai cherche à montrer l'impact de ce style de vie sur le système de valeur auprès des personnes qui y vivent durant de longues périodes, mais aussi sur la spécificité du langage et ses interprétations sociales.

Mots clés: Les enfants de la rue, les valeurs, la violence, le discours, le langage, violence verbale.

Abstract

The objective of this paper is an epidemiological study of the phenomenon of abandoned children throughout the world and more specifically in Algeria. This phenomenon attracted the interest of many researchers from different disciplines. On the other hand, this research focuses on the «problem of the street" and its impact on the value system from the people who live there for long periods, but also the specificity of the language and its social interpretations.

***Keywords: Abandoned children, values, violence, speech, language, verbal violence**.*

مقدمة

أصبح الاهتمام بعالم الطفولة في العالم عامة والوطن العربي على وجه الخصوص من الأولويات التي تسعى الدول لحمايتها ورعايتها وتأهيلها، للمرور إلى الحياة الراشدة ناضجة قادرة على تحمل أعباء الحياة بكل معطياتها، وحتى تساهم في بناء وتشييد وطنها، وفي سياق تنشئة الطفولة يسعى المجتمع بكل مؤسساته إلى غرس المبادئ والقيم التي من شأنها مساعدة هذا الطفل على التكيف والتفاعل وفق ما استدخله من معايير وتمثله من مكتسبات سوسيوثقافية، الأمر الذي يتجسد في شخصيته التي تظهر متكيفة مع محيطه الاجتماعي متآلفة مع عناصره، وإما أن تُغرس فيه بذور التنافر والتوتر والاختلال، التي تتفاعل فيما بينها مفضية إلى خلق شخصية مضطربة معقدة تتنازعها تيارات الانحراف والجريمة.

وفي ضوء ذلك ينبغي إعطاء تلك المرحلة أقصى درجات العناية والحماية، وإحاطة الأطفال خلالها بمناخ إيجابي صحي يضمن لهم النمو السليم المتكامل بمختلف أبعاده الجسمية، النفسية، العقلية والاجتماعية. بَيْد أن هناك مشكلات عديدة قد تعكر صفو تلك الأجواء المنشودة لتشكل خطرا يهدد دعائم استقرارها، ومن أبرزها ظاهرة أطفال الشوارع التي أصبح يعاني منها عدد كبير من دول العالم، حيث تشير أخر التقديرات لهؤلاء الأطفال إلى وجود أكثر من 100مليون طفل في الشارع في الدول سواء المتقدمة منها أو النامية، وتُعد الجزائر من بين هذه الدول التي عرفت استفحال لمثل هذه المشكلة الاجتماعية التي بدأت تتفاقم في الواقع الاجتماعي لمجتمعنا دون محاولة التصدي لها بشكل كاف في الوقت الراهن.

ويمكن إرجاع ذلك إلى أسباب مختلفة؛ منها ما يعود إلى الغموض والالتباس الذي تكتنفه ظاهرة أطفال الشوارع من زوايا عدة، سواء من حيث المفهوم، الحجم، العوامل وكذا الآثار أو سبل مواجهتها، كما أن ندرة الدراسات العربية – والتي ترجع بالدرجة الأولى إلى الغياب الواضح للإحصاءات الدقيقة حول هذه الظاهرة وحجمها– يُعد من بين المشاكل التي تعيق فتح مجال البحث في ذلك الأمر، الذي يبرز أهمية الخوض في معرفة حيثيات هذه المشكلة الاجتماعية، خاصة إذا علمنا ما للشارع من تداعيات على منظومة القيم والخطاب على الأفراد عامة وعلى الأطفال خاصة.

فالشارع ليس فضاءً مغلقا يسهل فهم أبعاده وتداعياته، ولا يكشف أسراره منذ الوهلة الأولى لولوجه وارتياده فهو فضاء اجتماعي وثقافي واقتصادي مفتوح ومتجدد، يخضع للتغير والتحول وتؤثر فيه العوامل على اختلاف منابعها يحمل في جعبته أخطارا ومصاعبا وتداعيات على من اعتاد ارتياده وأدمن المكوث فيه، ولعل تداعيات الشارع ستكون ذات أثر بالغ على شخصية الطفل، الذي سيتخذه منهج حياة ومكانا لكسب القوت اليومي، وأخطر من ذلك نسقا قيميا يكتسب من خلاله كيف يجب أن يعيش، وكيف عليه أن يواجه المصاعب والمخاطر التي ما اعتاد عليها ولا خَبِر طرق مواجهتها.

وتشير الإحصائيات التي تتعلق بأطفال الشوارع، والتي أوردتها الأمم المتحدة إلى وجود 40 مليون طفل من أطفال الشوارع عام 1981، من بينهم 25مليون طفل في أمريكا اللاتينية والبرازيل، ووصل عددهم سنة 2000 إلى 100مليون طفل عبر العالم، والبيانات الحديثة تشير إلى تزايد مذهل لهؤلاء الأطفال عبر العالم عامة والعالم الثالث على

وجه الخصوص، حيث تشير آخر التقديرات إلى وجود حوالي 30مليونا بأمريكا اللاتينية، و25مليونا بآسيا، و35 مليونا وحدها بشمال إفريقيا، وهو مؤشر هام لوبائية الظاهرة وانتشارها عبر العالم.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوع ظاهرة " أطفال الشوارع " والنسق الاجتماعي الذي يفرز لنا مثل هذه الظواهر خاصة الأسرة، وأهمية ذلك في صقل شخصية الطفل وتكوينها، أو الرمي به إلى متاهات الشارع، أين يصبح عرضة للعديد من المخاطر، كما أنها تساعد المهتمين بهذه الفئة من الأطفال في فهم السياقات القيمية التي يكتسبونها من خلال تواجدهم الكثير والدائم في بعض الأحيان في الشارع.

من جهة أخرى تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية :

- معرفة واقع أطفال الشوارع في العالم عامة وفي الجزائر على وجه الخصوص.
- معرفة طبيعة القيم التي يكتسبها طفل الشارع، وهذا من خلال سياق لغة الخطاب التي يتفاعل بها أطفال الشوارع من خلال تواجدهم المباشر في الشارع.

وسنحاول عبر هذه الدراسة أيضا، التطرق إلى فهم ماهية ظاهرة أطفال الشوارع ووبائيتها من جهة، ومن جهة أخرى نحاول فهم طبيعة لغة الخطاب والقيم التي يتعايش معها طفل الشارع في إطار مكوثه فيه لفترات طويلة، وعلى اعتباره نموذجا يجابهون به مجريات الحياة الاجتماعية ومصاعبها ويشكلون عبره نسقا قيميا يتعايشون في ظله ويتفاعلون من خلاله.

1- إشكالية الدراسة:

تشير اتفاقية حقوق الطفل المعتمدة من قبل الأمم المتحدة؛ أن للأطفال الحق في الرعاية والمساعدة من أجل حمايتهم من الانحراف وإحساسهم بالكيان الإنساني، واقتناعا منها بأن الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع، وهي البيئة الطبيعية لنمو ورفاهية جميع أفرادها وخاصة الأطفال، وينبغي أن تولى الحماية والمساعدة اللازمتين لتتمكن من القيام بمسؤولياتها داخل المجتمع، وتضع الاتفاقية في اعتبارها الحاجة إلى توفير رعاية خاصة، قد ذكرت في إعلان جنيف لحقوق الطفل لعام 1924، وفي إعلان حقوق الطفل الذي اعتمدته الجمعية العامة في 20 نوفمبر 1959، والمعترف به في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[1]، على اعتبار أن الطفل بسبب عدم نضجه البدني والعقلي، يحتاج إلى إجراءات ووقاية ورعاية خاصة، بما في ذلك الحماية القانونية المناسبة، قبل الولادة وبعدها، كذلك تأخذ بعين الاعتبار أهمية تقاليد كل شعب وقيمه الثقافية لحماية الطفل ورعايته.

وفي الذكرى الثلاثين لإعلان حقوق الطفل اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر 1989 اتفاقية حقوق الطفل التي دخلت حيز التنفيذ في سبتمبر 1990 واحتوت على ديباجة أكدت على ضرورة الاهتمام بالطفل وتفعيل التعاون الدولي بخصوصه، وجاءت نصوص الاتفاقية مقسمة على 54 مادة جاء بعضها ليحدد حقوق الطفل لاسيما حقه في الحياة والاسم والجنسية... بالإضافة إلى حقوق المعوقين منهم والأقليات، بينما تضمنت مواد أخرى أساليب وطرق حماية هذه الحقوق، وتختلف وسائل الحماية المكرسة باختلاف الأخطار المحيطة به؛ نذكر منها ما تعلق بالحماية الاقتصادية؛ التي تحارب كل استغلال لطاقات الطفل وتحث الدول على تنظيم عمل الأطفال، لاسيما من حيث تحديد سن العمل وساعاته وتحسين ظروفه، في حين تكفل الحماية من العنف القضاء على كل مظاهر الإساءة

للطفل بشكل مباشر أو غير مباشر لقدراته البدنية أو العقلية سواء في وقت الحرب أو السلم.

ولقد أفرزت لنا الساحة الاجتماعية ظاهرة اجتماعية خطيرة جراء التغير الاجتماعي والاقتصادي وحتى الثقافي، جعل الكثير من المختصين يدقون ناقوس الخطر لوبائيتها وخطورة تواجدها على الساحة الاجتماعية؛ ويتعلق الأمر بظاهرة أطفال يجوبون الشوارع ويختارونه مكانا للعيش والاسترزاق، هائمين على وجوههم باحثين عن لقمة العيش، وعن مأوى يحميهم برد الشتاء وحر الصيف.

إن أطفال الشوارع هم أطفال حُرموا من حقوق التنشئة السوية داخل أسرة مستقرة، ومن ضرورات الحياة الأساسية من أمن وحماية وتعليم ورعاية، وهذا ما يجعلهم عرضة للخطر الذي يتهدد صحتهم وأخلاقهم وهويتهم، والمطّلع على الدراسات والمقالات وتقارير المنظمات الدولية التي تهتم بالأطفال المحرومين وخاصة أطفال الشوارع، يصل إلى أن الظروف الاجتماعية التي تعيشها هذه الفئة من الأطفال قاسية وصعبة جدا.

ويقدر عدد أطفال الشوارع في العالم العربي بين 7 و10 ملايين طفل، وتوضح الكثير من المؤشرات والدلائل أن الظاهرة آخذة في الازدياد والتفاقم، وبالاستناد إلى إحصاءات تقديرية أجرتها عدد من الدول العربية التي اعترفت بوجود الظاهرة؛ يعيش في المغرب 234طفل في الشارع، وفي مصر نحو93ألف طفل، وفي السودان حوالي 37 ألف طفل وفي اليمن 7آلاف وفي لبنان نحو3500طفل شارع[2]، وهي أرقام تتشابه مع تلك التي تتعلق بالدول الغربية والتي تشير إلى تفاقم الظاهرة عالميا، حيث بلغ تعداد أطفال الشوارع حسب المنظمات والهيئات الدولية إلى وجود ما يقارب أو يزيد عن 100مليون طفل شارع في العالم، وفي هذا الصدد تشير التقارير الدولية إلى أن نسبة النصف من هؤلاء الأطفال على الأقل معرضون للاستغلال الجنسي وتعاطي المخدرات، وأن شبكات الدعارة العالمية تقوم بنقل الأطفال من أمريكا اللاتينية وآسيا وشمال إفريقيا إلى شمال أوروبا[3].

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن القيم والأخلاق من عوامل النهوض والأمن والاستقرار الاجتماعي، وسوء الأخلاق من أسباب تفكك الأسرة وانهيار المجتمع وسقوط الحضارة، فالقيم تضبط السلوك الإنساني وتلزم الإنسان بالجانب الخيّر منه، فيترتب عن ذلك أن يصبح الإنسان مسئولا عما يصدر عنه من أفعال، ويساهم ذلك في صقل شخصيته التي تنمو على نحو يتوافق مع المجتمع الذي سيعيش فيه الفرد.

ويمكن أن نلاحظ أن القيم السائدة في أي مجتمع تترتب على سلم هرمي حسب درجة الأهمية والانتشار في المجتمع، ويرى عبد الحميد خزار[4]: "أن أكثر القيم انتشارا تمثل قاعدة الهرم وتقل درجة الأهمية كلما اتجهنا إلى قمة الهرم، وأن لكل مجتمع هرما قيميا خاصا به تترتب فيه القيم حسب درجة أهميتها من القاعدة إلى القمة، وهذا لا يعني بالضرورة وجود تعارض بين قيم الفرد والأسرة والقيم السائدة في المجتمع لكن الاختلاف يكون في درجة الأهمية بالنسبة للقيمة من فئة إلى أخرى".

ومما لا شك فيه أن تواجد الطفل في الشارع لفترة زمنية كبيرة، قد ينعكس على مجرى حياته، وقد يساهم في استدخاله لما يحتويه هذا الشارع من قيم ومجموعة قواعد، بالإضافة إلى تداعيات ومخاطر سلوكية كانت أو انفعالية وحتى لغوية لهذه البيئة، هذه الأخيرة يمكن أن تجعل الطفل يتعايش مع مفردات الشارع كبنيات لغوية غريبة في بادئ الأمر

ثم ما يلبث أن تصبح هذه البنيات معبرة عن شخصه ولصيقة بخطاباته، التي يتواصل بها مع المارة أو المحيطين به، وتشكل نسقا قيميا يميز خطابه ويميز تفاعلاته المختلفة وسلوكاته اللامعيارية في كثير من الأحيان.

سنحاول عبر هذه الدراسة تبيان أثر الشارع في إكساب الطفل قيما خاصة، وأيضا مساهمته في إنتاج لغة خاصة بالطفل الذي يمكث بالشارع فترة طويلة من الزمن، وأيضا كيف تتميز لغته بالقسوة والشدة والعنف من خلال احتكاكه المباشر بالشارع كفضاء فيزيقي واجتماعي، ومن هنا يمكننا ان نطرح التساؤلين التاليين:

* 1- ما هو واقع أطفال الشوارع في العالم عامة وفي الجزائر على وجه الخصوص؟.

* 2- ما هي طبيعة القيم ولغة الخطاب التي يكتسبها أطفال الشوارع؟.

2- ماهية القيم وعناصرها :

2-1 ماهية القيم وبعض تعاريفها:

يختلف الكثير من العلماء في تحديد تعريفاتهم للقيم، كل حسب إطاره المرجعي، وبحسب نظرتهم لموضوع القيم، فيرى البعض أن القيم مقياس أو معيار للحكم على الأشياء، وذلك لأن القيم تعطي الإنسان القدرة على المفاضلة، والتعرف على ما هو حسن أو قبيح، وهي متفق عليها بين أفراد المجتمع ويولونها احتراما عميقا ويحرصون على توارثها.

فالقيم لدى علما ء النفس أو علماء الاجتماع أو التربية أو علم النفس الاجتماعي أو حتى في الفلسفة، تُعد مُثلا عُليا تحدد الاتجاهات عند الفرد، وبناءً عليه يتم الاختيار بين الأشياء والتفريق بين الخير والشر والحسن والقبيح، وبفضلها يمتلك الفرد القدرة على الحكم بمعايير اكتسبها من المجتمع تبعا لاكتساب القيم، وتكوُّن النسق القيمي عنده يكون بحسب طبيعة المجتمع واتجاهاته الثقافية والاقتصادية والتربوية.

في كل مجتمع تنتظم مجموعة من القيم، ويشترك فيها أفراد المجتمع، وتنظم سلوكهم الاجتماعي والتربوي، وتطلق على هذا النظام: "نظام القيم" هذه الأخيرة تؤثر في سلوك الأفراد وفي إدراكاتهم، وتطور القيم يحتاج إلى ترشيد اجتماعي يهتم بتشكيل ووضع المعايير الجديدة، كما يعمل على تطوير السلم القيمي في المجتمع، فالقيم السائدة في المجتمع والمؤثرة في الاتجاهات تحتاج إلى إعادة النظر، لتطوير القديم وابتكار قيم جديدة تبعا لطبيعة التغير الاجتماعي.

تعريف القيم: هي مجموعة من المبادئ تعمل على احترام الإنسان لذاته وللآخرين، وتكوِّن الوازع النفسي لديه والذي يمنعه من الانحراف وذلك بصياغة سلوكه وتصرفاته في إطار محدد، يتفق وينسجم مع المبادئ والقواعد التي يؤمن بها بقية أفراد المجتمع، ونقصد بالقيم في الدراسة الحالية **بكونها "مجموعة القواعد والمبادئ التي يكتسبها طفل الشارع والتي تترجمها لغة الخطاب التي يتواصل بها مع محيطه الذي يعيش فيه .**

2-2 عناصر القيم: يميز روكيتشRokitch ثلاثة عناصر للقيم هي:

أ-العنصر المعرفي: يتضمن إدراك موضوع القيمة، ويمثل معتقدات الفرد وأحكامه وأفكاره ومعلوماته عن موضوع القيمة.

ب- العنصر الوجداني: يتضمن الانفعال بموضوع القيمة أي الميل إليه أو النفور منه .

ج-العنصر السلوكي: ويتضمن ميول الشخص واستعداداته للاستجابة، وإبراز المضمون السلوكي للقيمة في تفاعله الاجتماعي(5).

ويذهب ت. بارسونز Parsons في نفس الاتجاه ويحدد هو أيضا نفس العناصر الثلاثة المكونة للقيم، حيث رأى أن العنصر المعرفي يبرز في عملية "الاختيار" والعنصر الوجداني في عملية "التقدير" وأخيرا العنصر السلوكي في "الفعل" و"السلوك"[6]. وتترجم القيمة ظاهريا بواسطة العنصر السلوكي للقيمة، بمعنى ممارسة الشخص للقيمة وأدائه لها فعليا[7].

2-3 وسائط نقل القيم إلى الطفل:

يشكل المجتمع من خلال أجهزته، نظمه، ومؤسساته مجالا تربويا شاملا، إذ يُنظر لتلك المؤسسات باعتبارها نظما للتفاعل الاجتماعي البناء من أجل إشباع حاجات الفرد والمجتمع[8]، باعتبار أنه من خلال هذا التفاعل تتحدد العلاقات الاجتماعية وأساليب الاتصال الجماهيري وأنماط السلوك التي يهدف إليها المجتمع؛ فإن هذه المؤسسات الاجتماعية على مختلف مستوياتها وتنظيمها وفق أنماط سلوكية وفكرية معينة، تقوم بنقل القيم والموروث الثقافي عبر التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام، جماعة الرفاق، الشارع...الخ). وتجدر الإشارة إلى أن هناك قدرا من التداخل بين تأثير كل منها في نفوس الأفراد بحيث لا يمكن عزل أثر إحداها على الأخرى.

2-3-1 دور الأسرة:

إن أكثر الوسائط أهمية وتأثيرا في إكساب الطفل القيم هي: الأسرة التي تعد من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يعمل أفرادها على نقل القيم إلى الطفل، فهي التي تحدد لأبنائها ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون في ظل المعايير والقيم والسائدة. فالأحكام القيمية لدى الطفل في المراحل العمرية المبكرة، تعتبر عالما واسعا وغير محدد، وذلك بسبب افتقاره إلى إطار مرجعي واضح من الخبرات، كما أن الطفل في بداية حياته لا يكون لديه ضمير أو مقياس لفهم القيم، فهو يسلك بطريقة غير أخلاقية لأنه لا يستطيع التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، ثم ينمو ميثاقه الأخلاقي في ضوء علاقته بالأفراد من أسرته[9].

إن الأسرة هي الإطار العام الذي يحدد تصرفات الأفراد عن طريق نقل القيم المتوازنة والعادات والأعراف وقواعد السلوك والآداب العامة، وعلماء الأخلاق والتربية يضعون الأسرة في المكان الأول ويدركون أثرها في تكوين القيم وتوجيهها وتربيتها، حتى بعد انقضاء مرحلة الطفولة وخروج الطفل إلى المدرسة ثم معترك الحياة[10].

ينظر الكثير من الباحثين في شؤون الأسرة أن التفكك الأسري أمر ذو علاقة بالتفكك في المجتمع الكبير؛ لأن اتجاهات وقيم معايير أعضاء الأسرة تعكس ما هو موجود في الثقافة الكبرى والثقافات الفرعية، ولهذا كان التغلب على مشاكل الأسرة، لا يرتكز على مقومات متصلة اتصالا نهائيا بالوحدات الأسرية فحسب، بل يجب أن يكون في الاعتبار تحريك العوامل الكبرى في المجتمع التي تنعكس في المدى القريب أو البعيد على الأسرة[11].

لا توجد الأسرة كمؤسسة اجتماعية في فراغ اجتماعي؛ وإنما يحكمها إطار الثقافة الفرعية الذي تنتمي إليه، كما يتحكم فيها أيضا المستوى الاقتصادي، الاجتماعي والديانة وغير ذلك من المتغيرات، ولهذا اعتبرت الأسرة بأنها المسئولة الأولى عن عمليات التنشئة الاجتماعية، التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها والقيم في صورة تؤهله فيما بعد لمزيد من الاكتساب، وتمكنه من المشاركة التفاعلية مع غيره من أعضاء المجتمع[12].

وعلى الرغم من التغيرات التي تعرضت لها الأسرة الحديثة من حيث حجمها ووظائفها، فإنها ما زالت من أهم القوى الاجتماعية في التشكيل والتوجيه التربوي ونقل القيم إلى الفرد والمشاركة في الوضعية التعليمية عن طريق المتابعة والإشراف المنظم في كثير من الأحيان، وتُقَيِم أداء أبنائها وانجازهم لواجباتهم المدرسية[13].

إن ارتباط الفرد بالأسرة هو ارتباط عضوي عاطفي في صغره وكبره، وعبر الأسرة يتم تشكيل الطفل لكونها أول من يمد الطفل بالنموذج القيمي الذي يتمظهر في السلوك الواجب على الطفل إتباعه حتى يستحق اكتساب عضوية الأسرة ويتم الاعتراف به وقبوله داخلها، فهي تعمل كناقل لقيم وعادات وتقاليد المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد وتحدد له وفقا لمكانتها الاجتماعية نوعية القيم الواجب عليه تشربها ليخرجها سلوكا في المستقبل.

ويمكن تلخيص دور هذا الوسيط التربوي الهام في عدد من الوظائف هي[14]:

- النقل: الأسرة تعتبر الأداء الأكثر أهمية في نقل ثقافة وقيم المجتمع للطفل، لأنها تسهم في تعريفه بالإطار الثقافي العام للمجتمع ومن ثم يتعرف على القيم والاتجاهات والأنماط الأسرية السائدة في مجتمعه.
- الانتقاء: حيث تقوم الأسرة بعملية انتقاء من بين عناصر الواقع الثقافي للمجتمع وما تراه هاما لتنقله للطفل.
- التقييم: تقوم الأسرة في إطار ما تنقله بعملية تقييم لما يتم انتقاؤه بالفعل قبل نقله للطفل لتفسيره ومن ثم تحديد قيمته في إطار معانٍ ثقافية معينة.

2-3-2 دور المدرسة:

المدرسة هي مؤسسة تربوية تعليمية تتميز ببناء وهيكل حضاري وفق مقاييس عالمية، بحيث تلم بكل الأطوار التعليمية والخصائص الترفيهية، فإلى جانب قاعات التدريس توجد الإدارة[15]. فهي وسط يجمع بين جيلين: جيل راشد يسهر على تربية وتثقيف جيل آخر في طور النمو يحتاج من الخبرات ما يهيؤه لبناء مستقبله وتطوير أمته، وإن تبادل المعارف بين جيلين يكون خاضعا لضوابط اجتماعية وأخلاقية يوفرها الجو المدرسي.

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي أوجدها المجتمع لترقية الأبناء وتعليمهم ونقل التراث الثقافي إليهم، وتعد المدرسة من أهم المؤسسات المسئولة على تعليم القيم ونشرها بعد الأسرة، فالمدرسة تقوم بمشاركة الأسرة في تكوين القيم التربوية لدى الأفراد وذلك لكون المدرسة مصدرا للعلوم والاتجاهات والمهارات، التي تُعد بدورها منطلقات أساسية لتعليم القيم. ويرى أحمد علي كنعان :" أن المدرسة بنية نقية أوجدها المجتمع بهدف التربية، إذ تحاول أن تُكسب أفرادها القيم الإيجابية، من خلال المناهج ومن تفاعل المتعلمين مع المعلمين، تتخطى الاختلافات الطبقية وتساعد في تنقية القيم مما يشوبها، وغرس قيم جديدة، وتبني نسق قيمي مرغوب لدى المعلمين[16].

ومن هنا كانت المدرسة والتربية ولا تزال؛ في خدمة المجتمع وبذلك تصبح ذات وظيفة واضحة المعالم ولا تسبح في فراغ، فالجيل الصاعد يحتاج إلى قيم واتجاهات وبناء جسمي سليم[17]، والمدرسة هي التي تقوم بتنقية المعرفة المتراكمة من الشوائب التي لحقت بها، وتبسيطها ونقلها للأجيال الصاعدة، وهذه المعرفة تتضمن القيم والاتجاهات والمعتقدات والمعايير المتوارثة جيلا بعد جيل، كما أن من

وظائفها تبني التغيرات والتجديدات التي تطرأ على المجتمع، ولا تقتصر مسئولية المدرسة على إعداد الفرد للتعامل مع المجتمع الذي يكون التغير فيه سريعا، بل يجب أن يستمر النظام التعليمي في إمداده بأشخاص يقومون بواجب تطوير المعارف والأساليب الجديدة، ومن ثم فهي أداة للتجديد والتغيير وتنمية القوى البشرية، ووسيلة للحراك الاجتماعي، للتطبيع والتهيئة الاجتماعية، وأوضحت بعض الدراسات الدور الذي تؤديه القيم في تحديد شكل العلاقات بين المعلم والتلميذ؛ فتزايد التقبل من جانب التلاميذ يترتب عنه زيادة اهتمام التلاميذ بالعمل المدرسي والتربوي، وزيادة ابتكارهم وكفاءتهم في التحصيل المدرسي[18].

وتظهر أهمية المنهاج والكتاب المدرسي الذي يتبوأ مكانة مرموقة في نظامنا التعليمي من خلال الدور الرئيسي لعمليتي التعليم والتعلم، وكذلك يساهم في غرس القيم التربوية في عقول التلاميذ، ولكي يتم تحقيق هدف التربية التي تتطلع إلى تكوين الإنسان المؤمن بالقيم والاتجاهات السليمة كان لابد للمربين أن يقوموا بتوفير متطلبات تلك التربية وتوفير المناخ الملائم.

2-3-3 دور المساجد والمدارس القرآنية :

تعتبر دور العبادة من المؤسسات المهمة والمساهمة في نقل القيم للأفراد، فالمساجد ودور العبادة لم يقتصر وجودها على الجانب الديني وحده، وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية والتعليم بالمعنى الشامل، فالمسجد والمدارس القرآنية تعمل على نقل القيم، وتربية الناس على الفضيلة وحب العلم وعلى الوعي الاجتماعي ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة[19].

وقد تخرج من المساجد الفقهاء والعلماء والصالحون في شتى المجالات، ولا تعترف المساجد بما يوجد بين الناس من فوارق اجتماعية، واقتصادية وجنسية أو عمرية، ومن ثم تشمل قطاعات كبيرة من الناس، تقوم بتوجيههم وتعليمهم ودفعهم إلى الالتزام بالمبادئ والقيم الخلقية في علاقاتهم وحياتهم العامة والخاصة على حد سواء.

2-3-4 دور جماعة الرفاق والشارع:

تؤدي جماعة الرفاق دورا هاما في نمو شخصية الطفل وتربيته إذ توفر المجال الاجتماعي الذي يتعلم فيه الأنماط السلوكية للجماعة وتزداد أهمية جماعة الأصدقاء التي يتعرف إليها الطفل أثناء تواجده في الشارع أو في المؤسسات التربوية المختلفة ، ويغدو الشارع مكانا لالتقاء كثير من الأطفال، حيث يُعد في نظرهم منبرا وفضاءً هاما لزيادة الخبرة والتفاعل أفضل، واستكشاف ما تجود به الحياة من خبرات وتجارب ومعارف.

تدرب جماعة الرفاق الطفل وفق مطالب زملائه، وتنمي عنده ضميرا اجتماعيا وتوفر له مجموعة من القيم والاتجاهات الخاصة ببيئته وجنسه، وكثيرا من الأطفال والمراهقين يتعلمون أشياء مختلفة من معنى الصداقة، الجنس والدين من هذه الجماعات التي ينتمون إليها في هذه السن.

وتظم جماعة الرفاق الأصدقاء والأفراد المتقاربين في السن والجنس أو المستوى الاقتصادي، وتبدأ منذ الطفولة وتتكون من زملاء الدراسة أو الحي أو العمل، وأهم ما يميز الفرد بنظرائه: التكافؤ والشعور بالندية، لهذا تتزايد درجة الترابط بينهم.

إن الوظيفة التربوية لجماعة الرفاق تناصر وتؤيد اتجاهات الأسرة وقيمها أكثر مما تخالفها، كما تؤدي دورا تربويا في تدعيم القيم التي يسعى إليها المجتمع؛ إذ أن تكوينها يسمح بإمكانية الحوار دون خوف أو خشية سلطة ومن وظائف تلك الجماعة أنها تساعد الفرد على الوصول إلى مستوى

الاستقلال الشخصي عن الوالدين وسائر ممثلي السلطة، وعلى تكوين معايير للحكم على الأشياء والسلوك، وتكسب أفرادها الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة[20].

إن لجماعة الرفاق مهمة ووظائف نفسية واجتماعية تساعد على حفظ مشاعر الوحدة، ودعم المشاعر الإيجابية السارة والإسهام في عمليات التنشئة الاجتماعية؛ إذ تساعد الصداقة على اكتساب عدد من المهارات والقيم والسمات الشخصية المرغوب فيها اجتماعيا، ومما لا شك فيه أن الشخص يحتاج إلى حد أدنى من التفاعل الاجتماعي، إلا أنه وبغض النظر عن أية مساعدات أو جهود إيجابية يتلقاها الشخص من الآخرين؛ فإن مجرد اجتماعه بهم يحقق عددا وافرا من الارتياح الوجداني في ظروف الحياة العادية، وتزيد الحاجة إلى الارتباط بالآخرين عند التعرض لمشقة أو الشعور بالقلق والخوف.

تُعد جماعة الرفاق من أهم وسائط نقل القيم وتدعيمها[21]، إذ توفر المجال الاجتماعي الذي يتم من خلاله تعلم الأنماط السلوكية للجماعة وتكوين معايير الحكم على الأشياء وتنمو الشخصية من خلاله حيث تشعر بالمساواة والاستقلال.

2-3-5 دور وسائل الإعلام:

تقوم وسائل الإعلام بدور بالغ الأهمية في نقل وتثبيت أو تغيير القيم حيث يبدأ الفرد الاتصال بوسائل الإعلام منذ طفولته المبكرة، وتمتد إلى شيخوخته، فهو بذلك يعبر أصدق تعبير عن مفهوم التربية المستمرة مدى الحياة وطرق تحصيل المعرفة ثلاثة : المشاهدة، المخالطة، والقراءة.

وصل العالم اليوم لعصر الفضائيات المفتوحة وأصبح العالم قرية صغيرة تتناقل أخبارها قنوات مختلفة وتبثها لكل بني البشر دون تمييز، بحيث يمكن لأي إنسان أن يعيش الحدث ساعة وقوعه في أي منطقة من الكرة الأرضية، حيث اختصرت المسافات واختصر الزمن، وبذلك أصبح الفرد عرضة لغزو إعلامي غريب على عاداته وقيمه قد يتفق أو يختلف مع ما يرغبه المجتمع في أفراده، وأكثر أفراد المجتمع تأثرا بوسائل الإعلام هم الأطفال، بحكم تكوينهم النفسي والعقلي، حيث أن تفكيرهم النقدي محدود في هذه المرحلة، لذلك فهم على استعداد لتقبل كل ما يأتيهم من خلال وسائل الإعلام.

فالقيم التي تحملها الرسالة تُستعمل لا إراديا لوجدان الطفل، ليُظْهِر بعد ذلك سلوكا وتصرفا عنده قد لا يرض عنه المجتمع، لتعاكس ما يتلقاه الطفل في الأسرة والمدرسة عن وسائل الإعلام، فيحدث للطفل انفصال اجتماعي عن النسق القيمي للمجتمع مما يهدد بانهيار القيم لدى الأطفال.

ولقد أكدت الكثير من الأبحاث الدور الحيوي الذي تلعبه وسائل الإعلام في بناء الشخصية، ولذلك يجب أن تُستثمر جيدا بطريقة صحيحة حتى تؤتي ثمارها المرجوة في مجال التربية، وبناءً على ما ثبت من علاقة بين التربية ووسائل الإعلام، وحيث أن هذه التربية هي غرس للقيم لدى الطفل لتظهر بعد ذلك سلوكا وأفعالا، فإن وسائل الإعلام بما تتسم به من دور إعلامي وتثقيفي وترفيهي تلعب دورا كبيرا في بث القيم في نفوس الأفراد.

إن وسائل الإعلام تمثل قوة حضارية تعمل على رفع مستوى المجتمع ثقافيا واجتماعيا وتربويا، فهي تعمل على تغيير الاتجاهات، وتحريك الجماعات لتحقيق أهداف مسطرة، وتحقيق التنمية ونشر الأفكار وتكوين الشخصية.

وتلعب وسائل الإعلام دورا هاما في تعميق المفاهيم الشائعة في المجتمع وترسيخ القيم السائدة

فيه، وتثبيت العلاقات القائمة بين المؤسسات والجماهير، وتقوم وسائل الإعلام بتقديم مواقف درامية تُعكس من خلال اتجاهات نحو الحياة، فهي تقدم للجماهير فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير[22] عن طريق الرسائل الإعلامية التي تبثها.

يمكن أن نصل في الأخير بعد استعراض أهم الوسائط التي يتم من خلالها نقل القيم إلى التأكيد على أن اكتساب القيم النفسية والخلقية مسئولية مشتركة بين البيت والمدرسة والمجتمع وأجهزة الإعلام والثقافة. وهنا يأتي دور القائمين على تنشئة الطفل في تحديد الإطار القيمي المرغوب، في الخطاب الثقافي والتربوي والتعليمي، حتى ينمو ويرتقي الطفل وفق أهداف متراصة وقيم متناسقة لا متناقضة بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

3- تعريف أطفال الشوارع:

إن أطفال الشوارع كمفهوم أساسي في هذه الدراسة، يقودنا إلى وضع التعريف الذي تعاملت معه جل الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع أطفال الشوارع وهو أن:

أطفال الشوارع هم الأطفال الذين يعيشون بصورة دائمة أو غير دائمة في الشارع، بدون حماية أو رعاية من أي جهة كانت، سواء الأسرة أو جهة أخرى، ويعتمدون في حياتهم على القيام بالعديد من الأعمال الهامشية، من أجل العيش والبقاء، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية وضعية هؤلاء الأطفال في الشارع.

وعلى الرغم من شيوع مصطلح "أطفال الشوارع" – بسبب حداثة الظاهرة– إلا أن الباحثين على اختلاف أطرهم المرجعية، يختلفون في تحديدهم لمفهوم هذا المصطلح، وسنناقش مجموعة من التعاريف التي أعطيت لطفل الشارع محاولة وصفه ووصف خصائصه.

قدمت منظمة اليونسكو منذ عام 1985 تعريفا شاملا لأطفال الشوارع ينص على:" أن أطفال الشوارع هم كل طفل ذكر أم أنثى اتخذ من الشارع بالمعنى الواسع، مكانا للحياة أو الإقامة الدائمة دون رعاية أو حماية أو إشراف من جانب أشخاص بالغين مسئولين"[23]. حيث حاولت هذه المنظمة توصيف حال الأطفال وهم يعايشون حياة الشارع دون حماية أو رعاية من قبل الأفراد أو الهيئات الرسمية وغير الرسمية.

وترى من جهتها منظمة الصحة العالمية لأطفال الشوارع أن أطفال الشوارع:" هم أطفال يعيشون في الشارع بلا مأوى وبدون حماية وبدون رعاية"[24]. وهو تعريف يُظهر لنا حرص هذه المنظمة على حماية الطفولة وحقوقهم، ومايترتب عن وجود الطفل في الشارع من مخاطر.

ويقدم المجلس العربي للتنمية والطفولة لأطفال الشوارع تعريفا لأطفال الشوارع مؤداه أن هؤلاء الأطفال يتسمون بالصفات التالية[25]:

– الأطفال الذين يحددهم القانون من حيث السن والجنس (الذكور والإناث).

– المقيمون بالشارع بصفة دائمة أوشبه دائمة، كالأسواق، الساحات، الحارات، الأماكن المهجورة وغيرها .

– الأطفال الذين يعتمدون على حياة الشارع والبقاء فيه، مما يدفعهم إلى القيام بمجموعة من الأنشطة الاقتصادية الهامشية، مثل عرض السلع في الأسواق والميادين العامة والتسول.

– الأطفال الذين يعيشون في الشارع دون حماية أو رقابة أو إرشاد من جانب أشخاص راشدين مسؤولين أوجمعيات أوهيئات ترعاهم.

وقد حاول العديد من العلماء والباحثين الغربيين فهم السياقات التي تنتج لنا أطفال الشوارع حيث

يعرف وايتن Withing1997 أطفال الشوارع بكونهم:" الأطفال الذين يقعون في المدى العمري ما بين 8 إلى 12 سنة ويقضون كل أومعظم أوقاتهم يجوبون الشوارع والطرقات بعيدا عن الأسرة" .

حيث نجد أن وايتن يميز بين أطفال في الشارع وأطفال الشوارع[26]، فالأطفال في الفئة الأولى حسبه يظلون قريبين من عائلاتهم، ويعملون في الغالب معهم في الأسواق، ويُشار للأطفال في الشارع بأطفال "السوق" فمنهم من يعيش مع والديه، ويعمل في الأسواق، وبعضهم يذهب إلى المدرسة جزءا من الوقت، بينما ظروف حياتهم غير مستقرة، بينما الفئة الأخيرة يكونون في الغالب بلا عائل ويعتبرون الشوارع بيتا ومستقرا لهم رغم إمكانية احتفاظهم ببعض العلاقات الأسرية.

وساهم بعض العلماء العرب في إعطاء بعض التعاريف لأطفال الشوارع التي حاولت التركيز في مجملها على وصف الحالة التي يكون عليها هؤلاء الأطفال، وما ينجر عن انفصالهم عن أسرهم، ومن بين هؤلاء العلماء نجد[27] الباحث مدحت أبو النصر الذي يركز على وصفهم بكونهم:" أطفال ذكورا كانوا أم إناثا، والذين يقل عمرهم عن 18 سنة يعيشون وينامون ويأكلون ويلعبون في الشوارع، منهم من لا يعمل والبعض الآخر يعمل أي يعمل في الشوارع بشكل غير رسمي وغير مرخص، وعلاقاتهم بأسرهم غالبا منقطعة ".

ويذهب محمد سيد فهمي إلى أن أطفال الشوارع هم:" الأطفال الذين يقل عمرهم عن 18 سنة، ويعيشون وينامون ويأكلون في الشوارع بشكل غير رسمي، اوغير مرخص به، وعلاقاتهم بأسرهم إما متقطعة أومنقطعة في الغالب".

إن قراءتنا لهذه التعاريف سمح لنا أن نتوصل إلى أنها تتميز ببعض نقاط التقارب والاختلاف في بعض الأحيان، وقد اتفقت التعاريف التي تناولت أطفال الشوارع على مؤشرات هامة أهمها :

– قضية التفكك الأسري التي تبدو واضحة من خلال جل التعاريف على نحو ماجاء في تعريف المنظمات أوبعض العلماء أمثال مدحت ابو النصر ومحمد سيد فهمي ووايتن.

– يعتبر الحد العمري الأدنى في هذه التعريفات بعدا قانونيا، أي قبل وصول الطفل إلى سن الرشد الجنائي(18–21سنة) على اختلاف هذا الأخير بين المجتمعات.

– أطفال الشوارع ينتمون بالضرورة إلى أسر مفككة، وأن هذا التفكك يأتي مصحوبا بضغوط أخرى تكتنف حياة الطفل وأسرته معا، وتكون من نتيجتها نقص حقوق الطفل التي كفلها له القانون.

– أطفال الشوارع يعيشون ويعملون بالشارع ويختلطون بالمشبوهين والأشرار والمنحرفين، ويكتسبون أقواتهم من أنشطة مثل حراسة السيارات بيع وسرقة الأشياء، ومنهم من جعل الشارع مصدرا مكملا لدخل الأسرة.

– أن أطفال الشوارع هم الذين يقيمون فعليا في الشارع، كما تركز بعض التعارف على المحددات القانونية فقط مثل السن واحتمال التحول إلى الإجرام، أو استخدام الشارع، أو أداء الأعمال الهامشية أو التشرد.

– معظم التعاريف لا تأخذ في حسبانها البعد الاجتماعي، ولا تعبر موضوعيا عن الواقع الذي يعيشه الطفل

أو الوضع الاجتماعي الذي ينتمي إليه ويدفع به الشارع، دون مسؤولية منه عن ذلك.

– تبين لنا التعاريف أن هناك علاقة وثيقة بين الأطفال والشارع، حيث أصبح الشارع هو الكيان المادي والاجتماعي وحتى الثقافي الذي يرتبطون به،

وهو يشكل شخصياتهم من كافة الجوانب ويحقق رغباتهم ويشبع حاجاتهم.

– المضمون الأساسي لأطفال الشوارع في بعض التعاريف، كتعريف نصيف فهمي ينطوي على فقدان الطفل للرعاية المتكاملة، وكذلك حماية الأسرة، مما يؤدي به إلى البحث عن مصادر أخرى لإشباع الاحتياجات والارتباط بالشارع كبديل عن حياته الطبيعية.

وحسب هذه التعاريف يمكننا أن نصل إلى أن مفهوم أطفال الشوارع ينطوي على ثلاث تصنيفات من الأطفال:

* أطفال يعيشون مع آخرين في منازل يملكها أولياء أمورهم.

* أطفال الملاجئ والمقيمون في مراكز الإيواء نظرا لوضعياتهم الأسرية.

* أطفال يعيشون في الشارع حيث يتخذون من هذا الأخير مسكنا لهم ويعيشون في الأماكن العامة أو الأزقة والحدائق العامة، ومداخل العمارات والمحطات إلى غير ذلك من الأماكن.

4– أسباب انتشار ظاهرة أطفال الشوارع:

يعتبر هنري ماهيو1851H.Mahyeu أول من استخدم اصطلاح أطفال الشوارع[28]، وجاء استعمال اللفظ عرضا في ثنايا كتابات ماهيو عن العمل والفقر في لندن؛ للإشارة إلى سوء معاملة الأطفال العاملين في بعض القطاعات الصناعية، ولم يستخدم بعد هذا التاريخ إلا في عام 1979 من قبل هيئة الأمم المتحدة عندما أقرت قوانين حماية الطفل[29].

واستخدم اصطلاح أطفال الشوارع في الثمانينات من القرن 20 بشكل متكرر، للإشارة إلى الأطفال الذين يمضون وقتهم كله أو بعضه وسط الأزقة والساحات وغيرها من الأماكن العامة في المدن، ويمارسون أنشطة متعددة تتسم بالهامشية والابتذال، وتتراوح أعمارهم عادة ما بين الخامسة حتى الثامنة عشر من العمر، وينتسبون غالبا إلى شرائح فقيرة معظمهم من المهاجرين من المناطق الريفية.

ترجع ظاهرة أطفال الشوارع لتوافر عدة عوامل منها الفقر، البطالة، التفكك الأسري، إهمال وسوء المعاملة للطفل، ترك مقاعد الدراسة مبكرا، وكذا الانتشار الواسع لظاهرة عمالة الأطفال[30]، إلى غير ذلك من الأسباب التي تدفع بالأطفال إلى الشارع، ليجدوا فيه ملجأ وحرية ويجدون في هذه البيئة أيضا فرصة للاسترزاق، وظاهرة أطفال الشوارع تعكس خللا في طبيعة البيئة الأسرية والاجتماعية والنتائج الرئيسية للأوضاع الخاصة بالأطفال، وتشير التحاليل العملية أن المتغيرات المرتبطة بالبيئة الأسرية تتمثل في :

– سوء الرعاية الأسرية.

– استخدام العقاب باستمرار.

– حجم الأسرة .

– المستوى التعليمي للوالدين.

تُظهر كل هذه العوامل البنية الأسرية التي أتى منها هؤلاء الأطفال، ويمكن أن نشير إلى أن هذه العوامل تختلف من بلد إلى آخر وذلك لاختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية للبلدان.

5- تصنيف أطفال الشوارع:

يتم تصنيف أطفال الشوارع إلى فئات مختلفة تعتمد اعتمادا كبيرا على طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء الأطفال من درجة التصنيع والمستوى الثقافي السائد، وكذا المستوى الاقتصادي. ففي أمريكا اللاتينية يتم تصنيف أطفال الشوارع إلى مجموعتين[31]:

- المجموعة الأولى:هم أطفال المنازل الذين يقضون بعض الوقت في الشارع ثم يعودون إلى منازلهم أثناء الليل.
- المجموعة الثانية: أطفال الشوارع؛ وهم الأطفال الذين يستقرون في الشارع بدون أسرة أو دعم ورعاية رسمية.

وأشار ابتيكار Apteker مستندا على رأي قوسقروف Gosgrov بأن تحديد أطفال الشوارع يمكن أن يعتمد على بعدين هما:

– درجة الانخراط في الأسرة.

– مقدار أو كمية السلوك الانحرافي.

وطبقا لذلك فإن طفل الشارع هو من يكون سلوكه بصفة عامة، لا يتفق مع المعايير السائدة في المجتمع، وأن اعتماده على تحقيق احتياجاته يكون خارجا عن دائرة الأسرة أو البديل عنها. ووفقا لما ذهب إليه ليسك (Lusk1992) في مقاله "أطفال الشوارع في العالم النامي: نظرة على أحوالهم Street children in the developing word :A review of their conditions" فإن الشوارع تنطوي على مجموعات من الأطفال، وكل مجموعة لها خصائصها النفسية التي تميز هذه المجموعات[32]:

– المجموعة الأولى: أطفال فقراء يعملون خارج الأسرة، ويعودون إليها ليلا في نهاية النهار، وربما يتبعون نظاما دراسيا أو يتخذون مسلكا مخزنا ولا يمكن القول بأنهم منحرفون.

– المجموعة الثانية: أطفال يقضون أغلب الوقت في الشارع، ويتحررون من الارتباط الأسري وأسرهم مفككة ولا يترددون بصفة مستمرة على المدرسة وانحرافهم يأخذ في التزايد وعلاقتهم بأسرهم بدأت في التفكك، وميولهم للانحراف في تزايد.

– المجموعة الثالثة: أطفال عائلاتهم مشردة طبيعيا، ويعيشون في الشارع مع أسرهم ويتصفون بالفقر المدقع يطلق عليهم في الهند اسم "ساكني الأرصفة"، ويسمونهم في الولايات المتحدة الأمريكية " الأسر المشردة".

– المجموعة الرابعة: أطفال انقطعت صلتهم كليا بالأسرة، والشارع هو المأوى الوحيد لهم، ويطلق عليهم اسم"أطفال بلا مأوى" أو أطفال الشوارع".

وقدمت منظمة اليونيسيف تصنيفا لأطفال الشوارع ضمنته الفئات التي ينتمي إليها أطفال الشوارع الذين يعيشون في الشارع بلا مأوى وبدون حماية أو رعاية ويتمثل هذا التصنيف في[33]:

–أطفال يقضون أغلب وقتهم في الشارع ولكنهم يعودون لأسرهم في نهاية اليوم.

– أطفال يقضون معظم أيام الأسبوع في الشارع وقد يعودون إلى الأسرة.

– أطفال منفصلون عن أسرهم ويقيمون بصورة دائمة في الشارع، وقد يعثرون على أسرهم فيما بعد لظروف معينة.

6- إحصائيات عن أطفال الشوارع:

لقد حاولنا تقصي ظاهرة أطفال الشوارع بالاعتماد على رصد أهم الأرقام والإحصاءات التي أقرتها الهيئات العالمية والمنظمات الدولية والمحلية، لمعرفة وبائية الظاهرة في العالم عموما وفي الجزائر على وجه الخصوص، على الرغم من كون الإحصائيات

في كثير من الأحيان مضللة ولا تعبر عن الواقع الحقيقي عن الظاهرة وانتشارها:

6-1 إحصائيات دولية عن أطفال الشوارع:

جدول رقم -1- يمثل إحصاءات أطفال الشوارع حسب المنظمات العالمية وبعض الدول الغربية

	المنظمة/ الدولة	عدد أطفال الشوارع	سنة الإحصاء
المنظمات والهيئات الدولية	منظمة اليونيسيف	100مليون طفل في العالم	2000
	منظمات حماية الطفولة الدولية	من 100مليون فى 200مليون طفل في العالم	2000
	منظمات Child hope الدولية	100مليون طفل	1991
الدول الغربية	المكسيك	200ألف طفل	1981
	الأرجنتين	300ألف طفل	1982
	البرازيل	32مليون طفل	1984

نلاحظ من خلال قراءة متأنية لهذا الجدول أن الأرقام التي تمدنا بها المنظمات الدولية وبعض الدول الغربية فيما يتعلق بإحصاءات أطفال الشوارع في العالم، تعبر عن رقم مخيف وخطير ينبئ عن تفشي الظاهرة بشكل كبير جدا في المجتمع، على الرغم أن هذه الإحصاءات لا تعبر عن حقيقة وبائية الظاهرة .

تقدر هيئة اليونيسيف عدد الأطفال المشردون والمتواجدون في الشارع في العالم إلى ما يزيد عن 100مليون طفل، منهم مابين 40 و50 مليون يعيشون في مناطق أمريكا اللاتينية[34].

ويشير لاوري(1995)Lawry إلى أن ظاهرة أطفال الشوارع ليست قاصرة على دول بعينها، وإنما بلدان كثيرة من العالم تعترف بوجود أطفال فقراء يعيشون في الشارع، وبالمدن الكبرى في ظل ظروف من الضغوط الانفعالية والبدنية الشديدة، وفي ظل رعاية تعليمية وصحية محدودة، وغالبا ما يعيشون في وضعيات خطرة؛ يكونون عرضة للانحرافات في كل الأحوال[35].

أشار مسئولون في المكسيك سنة1981إلى أن هناك 200 ألف طفل يتسكعون في شوارع العاصمة، وفي الأرجنتين سنة 1982 قدرت وكالة رعاية الطفولة نحو300الف طفل، أما في البرازيل قدرت المؤسسة الوطنية لرعاية الطفولة حجم الأطفال الذين يعانون حرمان مدقع سنة 1984 نحو32 مليون طفل أي 2/1 سكان البرازيل[36].

كما تقدر المنظمات الدولية والهيئات العالمية عدد أطفال الشوارع بالمتزايد عن 100 مليون طفل، و120 طفل مهيئون لعمالة الأطفال، وللعمل خاصة في الأعمال الخطرة التي لا تتناسب وقدراتهم ومستواهم العمري[37].

ومن جهتها قدرت منظمة Child hope الدولية عام 1991 وجود ما يزيد عن 100 مليون طفل شارع منهم 25مليون إلى 30مليون في أسيا و20 مليون إلى 25 مليون في أنحاء متفرقة من العالم[38].

وكلها أرقام عالية الإحصاء، تعبر عن واقع طفولة في خطر نتيجة التزايد الهائل في عدد هؤلاء الأطفال الذين يعج العالم بوجودهم، وهي أرقام يلحظ الخبراء والمختصون بتزايدها مع مرور الزمن في كل أقطار العالم.

6-2 إحصاءات الوطن العربي عن أطفال الشوارع:

جدول رقم -2- يمثل إحصاءات أطفال الشوارع حسب بعض الدول العربية

الدولة	عدد الأطفال	سنة الإحصاء
مصر	18ألف طفل	1992
المغرب	233ألف طفل	1988
موريتانيا	أكثر من 60ألف	1990
السعودية	تنفي وجود أطفال شوارع سعوديين كل الإحصاءات حول هؤلاء الأطفال تتعلق بالوافدين على السعودية من الدول المجاورة، والمشردين التائهين في السعودية.	
السودان	أكثر من 36ألف طفل 120ألف طفل	1991 2002
الأردن	9آلاف طفل	2001
اليمن	7آلاف طفل	2000

إن الإحصاءات التي أمدنا بها الجدول رقم-2- حول أطفال الشوارع في الوطن العربي لا تختلف كثيرا عن إحصاءات الدول الغربية، فالأرقام والإحصاءات تعبر عن تفاقم وتنامي الظاهرة في جميع بلدان العالم عامة والدول العربية على وجه الخصوص؛ فلا يمكن الحديث عن ظاهرة أطفال الشوارع بمعزل عن الظاهرة العالمية، حيث تداخلت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في السنوات الأخيرة بين الدول النامية والدول المتقدمة الطامحة إلى العولمة والأمركة [39] وحرية التجارة.

وجدير بالذكر أن نمو الظاهرة في الوطن العربي ساعد فيها التغيرات التي مرت على البلدان العربية،على جميع الأصعدة الخارجية وعلى الداخلية، كالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على اختلاف حدتها من بلد إلى آخر، وتمثلت هذه التغيرات في الزيادة السكانية في العديد من الدول العربية، وازدياد معدلات الهجرة من الريف إلى الحضر، وبالتالي الضغط على الخدمات وخاصة في المدن والعواصم الرئيسية، والحروب الأهلية إضافة إلى العديد من الكوارث الطبيعية، ولا شك أن مثل هذه التغيرات غالباً ما ترتبط بمشكلات التفكك الأسري، سوء معاملة الطفل، جرائم العنف الأسري، البطالة، انخفاض متوسط دخل الفرد، ازدياد معدلات التسرب الدراسي، وتشغيل الأطفال، لتعويض الفاقد الاقتصادي لبعض الأسر، مما يهيئ المناخ لازدياد حدة مشكلات الطفولة، ومن بينها مشكلة أطفال الشوارع في العديد من المدن والعواصم العربية، رغم عدم وجود إحصائيات دقيقة حول حجم الظاهرة عربياً، بشكل يمكن أن يسهم في التعرف على أبعادها المختلفة[40].

في مصر:أشار تقرير الأمن العام سنة 1992 إلى وجود حوالي 18 ألف طفل شارع، وقدرت الإحصائيات الخاصة بمنظمة UNICEF أنه يوجد بشوارع مصر ما يقارب المليون ونصف المليون طفل ممن يتعرضون لمخاطر العنف والاستغلال الجنسي، مما يجعلهم في الواجهة الأمامية للإصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة " الايدز "[41]. ويقدر الأطفال العاملون عموماً في الإحصاء المصري الرسمي عددهم بـ1.5 مليون طفل، فإذا أضيف إليهم ستون ألف طفل من أطفال الشوارع فإنه يُقدر عددهم بثلاثين في الألف، أي أن 3% من السكان من فئة الأطفال العاملين وأطفال الشوارع، بينما

يقدر الباحث أحمد صديق عدد أطفال الشوارع في**مصر** بـ: 935000 طفل.

في المغرب: تشير الدراسات إلى أن ظاهرة أطفال الشوارع بدأت في الثمانينات من القرن الماضي وحسب التقديرات وصلت إلى 233 ألف طفل وتنتشر في مختلف المدن المغربية.

في موريتانيا: " أثبتت دراسة ميدانية أن الظاهرة في تزايد في المناطق الحضرية بشكل مطرد وأن حوالي 60ألف من أطفال الشوارع يوجدون في الحي الذي تقطن فيه أسرهم الأصلية مما يعني أن ظاهرة أطفال الشوارع هي ظاهرة أحياء.(cités)

– **في المملكة العربية السعودية** : ينفي إحسان بن صالح طيب –مدير عام فرع وزارة الشئون الاجتماعية بمنطقة مكة المكرمة– قطعيا وجود أي حالة من أطفال الشوارع في السعودية، وقال أن كل الأطفال الموجودين هم من غير السعوديين الذين يأتون من الخارج بطرق مختلفة أو عن طريق التهريب؛ وبالتالي هم يمارسون التسول بإرادة أهليهم، ويوضح أن مصطلح أطفال الشوارع يطلق على الأطفال المشردين الذي يهربون من بيوتهم، مؤكدا أن ذلك الأمر غير موجود في السعودية[42].

– **في السودان:** تمت دراسة حكومية في العام 1991 قدرت عدد أطفال الشوارع بين سن 7 و13 عاماً هم في السودان يقدرون بـ (36931) طفل منهم (14336) في ولاية الخرطوم وحدها.

وفي سنة 2002 قدرت الإحصاءات الرسمية عددهم بـ: 120 ألف طفل[43]، وقد أرجع الدارسين للظاهرة في السودان إلى بعض العوامل منها: الصراعات الداخلية والنزاعات المسلحة، ظروف الاحتلال والحصار، انتشار البطالة، ارتفاع معدلات الفقر، التفكك الأسري...الخ[44]. والملفت للانتباه فيما يتعلق إحصاء أطفال الشوارع في السودان أنه تضاعف إلى الثلثين خلال عشرية كاملة، وهو مؤشر خطير على تنامي الظاهرة في هذا البلد.

– **في الأردن:** قدرت الإحصاءات حتى عام2001 ما يقدر بـ:9400 طفل يعيشون في الشارع بصورة رسمية.

– **في اليمن:** قدر اتحاد الجمعيات غير الحكومية حوالي 7000طفل يعيشون بين العمل والتشرد[45].

3-6 إحصائيات وطنية عن أطفال الشوارع:

ليست هناك إحصائيات وطنية دقيقة وواضحة عن العدد الحقيقي عن أطفال الشوارع في الجزائر، فهناك تقدير يقول بأن عدد هؤلاء الأطفال ذكورا وإناثا، يتراوح ما بين 6000 و9000طفل مشرد، وهي أرقام يتم جمعها من المؤسسات المختصة بعالم الطفولة.

لابد من الإشارة أن الاهتمام بعالم الطفولة في الجزائر، بدأ لما بدأت الهيئات الدولية والمنظمات العالمية تنادي بحقوق الطفل، من جهة ومن جهة أخرى حين أصبح ثلثي سكان الجزائر يمثلون فئة الشباب، حيث بلغ تعداد الشباب 10 ملايين و700 شاب وهو ما يترجم نسبة 30% من المجموع السكاني، حيث يمثل الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 18 سنة 63% من نسبة الشباب، فيما تتجاوز نسبة هؤلاء ممن تقل أعمارهم عن خمس سنوات 20%، وهي في رأي المختصين نسبة معتبرة تحتاج للرعاية والتكفل[46].

كشف التحقيق الميداني حول تشغيل الأطفال بالجزائر، عن وجود2979 طفل عامل تتراوح أعمارهم بين 4 و17 سنة ينشطون في مجالات بيع السجائر والرعي وأخطرها المتاجرة بالمخدرات والدعارة[47].

وبينت المعطيات في التحقيق أن 106 من هؤلاء الأطفال تقل أعمارهم عن 10سنوات، في حين

تراوحت أعمار الـ63% منهم بين 13و16سنة وهم من الذكور، فيما تمثل نسبة الفتيات العاملات 32%.

وعن مستواهم الدراسي بين التحقيق أن 31% من الأطفال متمدرسين، وأنهم يمارسون أعمالا بالموازاة مع الدراسة، في حين بلغت نسبة الذين رسبوا في الدراسة 37,5%، كما أقر 31% من هؤلاء العمال الصغار ترك مقاعد الدراسة بمحض إرادتهم.

ونلحظ في الجزائر ازدياد أطفال الشوارع في السنوات الأخيرة، فالمتجول في الأسواق والمحلات وعلى حواف الأرصفة، يجد أنهم يتناثرون هنا وهناك، يتسولون، يبتاعون الأشياء التافهة وفي بعض الأحيان يتحرشون بالمارة اعتداء أو شتما، حتى وإن لم تكن هناك إحصائيات دقيقة عن حجم الظاهرة بسبب حداثتها، وحداثة تناولها من قبل المختصين، فقد كانت الدراسات تختصر في السنوات السابقة على إلقاء الضوء على الأطفال من رؤى قانونية كمنتهكين للقواعد العامة والقانون بما يعرف "جنوح الأحداث" و"المنحرفين والمشردين"، والذين يقومون بأعمال هامشية وفق النظرة العامة للمجتمع[48]. أما المتتبع للحياة الاجتماعية فإنه يلحظ تزايد أعداد هؤلاء الأطفال، وبصورة ملحوظة في المناسبات والمواسم الدينية، كما نلحظ تفاقم الظاهرة في فصول معينة خاصة في فصلي الصيف الربيع على وجه الخصوص.

7- ماهية الشارع وتداعياته:

يعُرف الشارع بأنه مكان عبور من نقطة ثابتة إلى أخرى[49]، وهو فضاء من التفاعل الايجابي والسلبي تتشارك فيه كل طبقات المجتمع؛ ففي مجتمعنا وخاصة بين فئات الطبقات الاجتماعية والشعبية، ونظرا لضيق المكان والاكتظاظ السكاني، بات الشارع فضاءً مميزا يتردد عليه الأطفال والشباب جاعلين منه مكانا للتلاقي واللعب، غير أن هذا الفضاء الذي كان يُعمر بصفة عرضية تحول شيئا فشيئا إلى مكان تغمر ساكنيه حالة مستقرة تارة ومتسكعة تارة أخرى، وهكذا غدا الشارع مكانا للعيش وجمع قوت اليوم.

في دوامة الحياة اليومية يتراءى أطفال الشوارع للعيان من خلال مظهرهم (متسخين، ملابس رثة بالية، حروق وندوب على أجسادهم..) تائهين، هائمين يحتلون أماكن إشارات الضوء، الأسواق، الأحياء الشعبية المكتظة، أبواب المدارس، أبواب المطاعم يتسولون يشاكسون، يُلحون في الطلب، يخيفون، يُشعرون الغير بالذنب، يُزعجون في بعض الأحيان المارة، ويرجع اختيار هذه الأماكن من قبل أطفال الشوارع إلى ما يُوفره الشارع من إمكانيات مادية، حيث يحصلون فيها على قوت يومهم أساسا، عن طريق مد يد التسول إلى المارة، وبيع الأشياء التافهة والبسيطة، ومن غسل زجاجات السيارات ونقل الأمتعة.

ويتغير شكل الشارع ليلا فيعود كل فرد إلى بيته تاركا الشارع لساكنيه الحقيقيين[50] وهم أطفال الشوارع والمتشردين والشباب المتمردين، وكل الفئات الهشة التي لا تجد لها مأوى سوى الأماكن المظلمة من هذا الفضاء الشاسع؛ ألا وهو "الشارع"، حيث يعود هؤلاء المشردون المهمشون والتائهون بعد يوم طويل من التسكع في الشارع بحثا عن قوت يومهم، وبحثا عن حل ولو تلقائي لوضعهم، إلى أماكن لجوئهم (الجسور، الحدائق، المنازل المهجورة، أو تلك التي في طور البناء، الموانئ، أسواق الجملة...الخ) ويُعتبر الشارع بالنسبة لكل هؤلاء في هذه الفترة الزمنية –الليل– فضاءً خاصا بهم يمارسون فيه لامعياريتهم و يحاولون امتلاك كل

أجزائه والسيطرة عليه بسلوكاتهم العنيفة والطائشة، فنجدهم يزيدون من خطورة الشارع بالعنف؛ الذي يظهر في ألفاظهم وسلوكاتهم والاعتداءات على كل من تُسول له نفسه المرور بفضائهم، هذا الذي يحمِّلونه مخاطر أكثر وسيطرة أكبر ليثبتوا لكل هيئات المجتمع أنهم وحدهم قادرين في هذه الفترة الزمنية على السيطرة وامتلاك فضاء الشارع.

8- طبيعة القيم ولغة الخطاب التي يكتسبها أطفال الشوارع:

إن رؤية الأطفال يجوبون الشارع ليلا ونهارا؛ يُظهر لنا أنهم يعيشون فعلا حالة من التهميش الاجتماعي، ويظهر ذلك من خلال سخطهم التام على المجتمع، وقد أبدوا أنهم لا يشعرون بمكانتهم، لا بيت يجمعهم أو يؤويهم، ولا أحدا من أفراد المجتمع قد يعبأ لحالهم، لذلك نجد ونلتمس خشونة منهم أثناء تعاملهم مع المارة ومع كل من يرون فيه العدو، وقد تمكنوا من إنتاج نظام لغوي محدود، ولقد أبدت هذه الشريحة المقموعة اجتماعيا ونفسيا، قدرة لفظية على توصيم نفسها بأسماء مستعارة، فصاغت نظاما محددا موازٍ يتجانس مع هامشيتها وتوحشها الاجتماعي، فكانت مفرداتها ومعانيها كأوضاع لا تعبر إلّا على التمرد والاحتجاج على الفقر والحرمان؛ كما يؤكد ذلك محسن بوعزيزي في دراسته عن أطفال الشوارع في تونس.

يقول محسن بوعزيزي في هذا الصدد :"...من الملاحظ أن قاموس هذه الفئة ليس سوى جملة من الكلمات المقصية من اللغة الشرعية تتكون في زوايا قصية من الشارع، من كلمات ليس لها أصلا اشتقاقيا أو معجميا ويتعمد فيها الغموض وتُكسر قواعد اللغة نحوا وصرفا وصوتا"[51].

إن هذا النظام اللغوي الذي يُميز هذه الفئة من الأطفال هو وليد كم هائل من التفاعلات الاجتماعية والنفسية بين أطفال تشابهوا في البؤس، فجمعهم على توليد استعمالاتهم اللغوية المحدودة، ويبدوا أن الاستعمال الجامح المتوحش الخارق لقواعد اللغة الشرعية، قد نتج عن حالة من عدم الشعور بالانتماء إلى أي فئة اجتماعية بعينها، إذ ظلت خارج التصنيف فكان احتجاج فاعليها على أوضاعهم جذريا، إلى حد خلق إستراتيجية مغايرة للتسمية تلغي الاسم الموجود في بطاقة الهوية ويستبدله بتسميات أخرى أكثر انسجاما مع أوضاعها الخاصة، وأكثر اقترابا من وجهة نظر انفعالية علائقية. ففي حديثي إلى بعض هؤلاء الأطفال وجدتهم ينعتون أنفسهم بألفاظ تصفهم وتصف قدرة التهميش الاجتماعي الذي يتعايشون معه :

فيتحول طارق إلى "المانش"أي la manche لشراسته.

ووليد إلى "مسمار" لحدته في التعامل وقدرته على المراوغة.

ولمين إلى "بوشوارب" لانتفاخ شفتيه .

وخليل إلى "باباي" لسواده وشدة قتامة لون جسده.

يمكن أن نستنتج أن هؤلاء الأطفال الذين يتخذون من الشارع مستقرا وفضاء للعيش وبيئة للاسترزاق إنما يحاولون التعريف بأنفسهم عن طريق إلغاء التسمية الشرعية من التداول، وهي تمثل ضربا من ضروب الحاجة إلى التخفي، وشكلا من أشكال الاحتجاج والرفض لكل ما هو شرعي لهذا المجتمع الذي همشهم وتركهم على حافة الانهيار، مثلما يرى محسن بوعزيز في دراسته عن الارغو اللغوي الخاص بالشارع L'argot de la rue.

ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة أيضا؛ أن هذا الطفل يتعايش مع مآسي الحياة المختلفة التي

يصادفها أثناء تجواله اليومي بين أزقة الشوارع، ومن مشاهد عنف الشارع التي يتآلف معها طفل الشارع:

- التحرشات الجنسية .
- الألفاظ الجنسية والبذيئة.
- التعرض لمختلف الأوبئة.
- التعرض للصدمات والمخاوف بصورة دائمة.
- تناول المخدرات علنيا وخفية.
- العنف الذي يتعرضون له لفظا وسلوكا.
- الازدراء الاجتماعي ونظرة المجتمع لهم نظرة احتقار.
- الكلفرة نسبة للمصطلح الفرنسي la colle forte والتي يقصد بها استنشاق المواد اللصقة[52].

يستحوذ الشارع على هؤلاء الأطفال ويحولهم إلى مرضى نفسانيين يتعلقون بالشارع وارهاصاته، ويصعب إعادة إدماجهم، حيث يصبحون مصدر خطرٍ على الغير، وحتى على أنفسهم، كما يرى كثير من العلماء في هذا الصدد أنه من الصعب ربط اتصال مستمر ومنتظم مع هؤلاء الأطفال، نظرا لتشردهم الطويل وهيامهم المستمر بالشارع، فلا يمكن السيطرة عليهم إلا في حالات الإحباط الشديد الذي يمكن أن يتعرضوا له (الاصابات الخطيرة، المرض، السجن..) [53].

فأطفال الشوارع كثيرا ما يلجئون إلى التعبير بالسلوك العنيف والمظهر المتسخ، وفي بعض الأحيان المتوحش، وهو يعكس شكلا خارجيا يوارون خلفه هشاشتهم، التي لا يمكن أن يكتشفها إلا الأشخاص الذين لهم خبرة، وتعاملوا معهم لوقت كبير، فهم في العمق ضعيفين بحاجة إلى عاطفة كبيرة، وبحاجة أكثر إلى من يقدم لهم المساعدة أيا كان نوعها.

وجدير بالذكر أن نشير إلى خاصية مهمة جدا فيما يتعلق ارتياد الشارع من قبل هؤلاء الأطفال الذين يتناوبون على الشارع ويتأرجحون بين الشارع والأسرة [54] أو مختلف المؤسسات الحكومية الخاصة بالرعاية، حيث يتعلق الأمر بفترة مكوث الطفل في الشارع، ومدى اعتماد هذا الطفل على العيش فيه كليا أو جزئيا؛ فالأطفال المبتدئون يكتشفون الشارع شيئا فشيئا، فهم يرهبونه ويرهبون الخطر الذي يتوقعونه في كل لحظة يتعايشون فيها إلى الشارع، ويكون وُلوج الشارع تدريجيا وبحذر كبير جدا، أما الهاربون المتمرسون الذين انفصلوا نهائيا عن أسرهم، أو هربوا من مراكز الرعاية والاستقبال، فإننا نجدهم خائفين متوجسين لخطر يحدق بهم، تنتابهم مشاعر متناقضة وثنائية حب ورفض الشارع، الأسرة، والمركز، بالنسبة لهؤلاء الأطفال يجب أن تتضمن الحياة المتوخاة قليلا من كل هذه الأشياء؛ قبضة من الحياة الأسرية وكثيرا من الحياة في الشارع[55].

9- قيم أطفال الشارع واللغة الخاصة: وجدت الباحثة في الشارع كفضاء مفتوح وخطر؛ أن الأطفال ينسجون استعمالاتهم اللغوية الخاصة، حيث يتواصلون عبر لغة غامضة وغير مقننة، ولا يعرفها سوى من يحتك بهم ويتعايش مع مفرداتهم، وهي استعمالات مقننة لا تفصح عن معناها، فهي بدائل لغوية تعبر عن ذاتها من خلال تكسير قواعد اللغة الشرعية التي اعتادت عليها البيئة التي عاش فيها هذا الطفل؛ الذي يتلذذ في إنتاج لغته الخاصة التي يصبغها بالغرابة في الكلمة، واللعب بالعبارات دون أمانة، فلا يهم الصواب والخطأ بقدر ما يستمتع الطفل ببلاغة الخطأ وقوته، فبهذه اللغة يعبر عن شخصه وعن الأسرة واختناقاته فيها، والمدرسة وإخفاقاته في استيعاب نسقها، وصولا إلى المجتمع

وعنفه، هكذا ينخرط طفل الشارع في استعمالات لغوية عجيبة، يثأر فيها لظروفه الاجتماعية القاسية تتبثق فيه المفردات الساخطة عما هو جمالي في اللغة، فيخرجها من حضن المدرسة ليلقي بها في الشارع وأوحاله[56].

لغة الشارع لا يعرفها سوى الأطفال الذين يفقهون رموزها وتعبيرها، إن أبرز حقل دلالي يصوغه الأطفال ويتداولونه في تفاعلاتهم وذبذباتهم الجماعية يحيل إلى التخفي خلف الكلمات المبهمة والغامضة عن عامة الناس، وتبرز فيه بلاغة المجاز والكتابة لما فيه من استعارة منحرفة مراوغة، كما أوضحه محسن بوعزيز في دراسته عن مجموعة من أطفال الشوارع التونسيين[57]:

- كلمة الشرطة تقابلها عند أطفال الشوارع الحنش.
- كلمة أهرب تقابلها عند أطفال الشوارع عنينه.
- كلمة الشرطة اقتربت تقابلها عند أطفال الشوارع الحمام يدور.
- كلمة المخدرات تقابلها عند أطفال الشوارع اللعبة.
- كلمة الفتيات تقابلها عند أطفال الشوارع الفرانك.
- كلمة السرقة تقابلها عند أطفال الشوارع عوا.
- كلمة اللواط تقابلها عند أطفال الشوارع فيه الصنعة.

وأكد بوعزيزي أن المجاز تُظهر حقيقة طفل ينزع إلى صياغة ثقافة تحت أرضية، تضع مسافة بينها وبين المجتمع وتقيم جسور تقارب بين فاعليها الاجتماعيين، عن طريق المجاز الذي وجد حظه صدفة في ألاعيب أطفال يعيشون بحكم ظروفهم، تحت وطأة المراقبة والمعاقبة، ويبدو رغم عدم جديته، مسألة وجود وخروج من مأزق فصنع لعناصرها مجازات وكنايات واستعارات، لمواجهة الآخر الشرعي الذي يرون فيه الخطر[58]، كما صنع لهم مفاهيم وأكسبهم قيما ضمنية يتعايشون على ضوئها مع أفراد المجتمع الذي ينبذهم أو يقبلهم.

ينزع الأطفال في تفاعلاتهم وعلاقاتهم نحو صياغة قيم خاصة بهم، تتعلق بالثقافة التحتية تقوم على نكث المعايير المتداولة وخرقها وكسر نظمها وقواعدها، فالسرقة والخطف هما من بين الممارسات الأكثر شيوعا بين أطفال الشوارع، مع ميل نحو السلوك العدواني؛ الذي يُفسر على أنه نتاج عدم التسامح إزاء الأزمات والحرمان العاطفي والمادي الذي عانوا منه أثناء تنشئتهم الاجتماعية في بيئتهم.

أطفال الشوارع يقودهم زعيم وتشعر المجموعة– أي الأطفال– بنوع من التآزر والتضامن الداخلي، وإدراكهم الجماعي لهذا الامتياز، يجعلهم ينصاعون لأوامره، ويسعى القائد من جهته إلى المبالغة في إبراز لا معياريته التي تبدو خاصة في علامات هامة، كلها ملامح ثقافة تحتية مضادة للمجتمع ومتمردة على قواعد الأسرة والمدرسة تنتج قيما خاصة تصبح لصيقة بطفل الشارع وأهمها:

- الوشم ودلالاته.
- ندبات الوجه.
- طريقة حلاقة الشعر.
- شكل الثياب.
- طريقة التعامل اللفظي والجسمي.
- طريقة المخاطبة والمشي.
- ردة الفعل العدوانية تجاه المواقف الحياتية المختلفة خاصة المحبطة منها.

ينحو أطفال الشوارع إلى صياغة ألفاظ لغوية خاصة بهم، لا يعرفها سوى هم أنفسهم، أو من يتعامل ويحتك بهم، ومن بين هذه الألفاظ التي استقيناها من خلال لقاءات جمعتنا بهؤلاء الأطفال:

– الزلاطجية التي يقصدون بها(مدمنو المخدرات)

– الرحلة (التيه على أنغام الراي ومن جلسات الخمر والمخدرات).

– البالكون التي يقصدون بها (أحد الجيوب الجانبية للسروال).

– البراكاج التي يقصدون بها (خطف السلاسل الذهبية والهواتف النقالة).

– الديليون التي يقصدون بها (غراء يوضع في كيس بلاستيكي يستعين به الأطفال للنسيان. والهروب إلى النوم، أو الغوص في عالم الأحلام).

– الهدة: الهربة.

يستوعب الشارع كونه فضاء انثروبولوجي واجتماعي ضروبا من الصراع والعنف واللامساواة، وفيه تتعايش طفولة شاردة مع الخوف يوميا، لأنها تنتشر في مجال لا مكانة لها فيه بعد أن فقدت بنيتها الأسرية، وبعد أن تنكر لها القائمون على التربية، وهنا يكون الشارع مجالا للمواجهة بين من يملك وبين من لا يملك، وفيه أيضا تتكثف اللامعيارية وتضمر قواعد الاندماج والتوازن، فتفسح المجال واسعا للإقصاء، تبدو فيها الطفولة مجرد أشتات من البشر وترى في تجاعيدها المبكرة ملامح المأساة، وعلامات الجوع.

لا يتحرك طفل الشارع بأمان، بل كل خطواته مملوءة بالخوف من الآخر ومن المجهول، ورهبة من موقف خطر قد يداهمه كل لحظة، ولكن في المقابل تراه متحفزا دائما للانقضاض على شيء ما، لذلك يختار من الشارع أطرافه المظلمة ويحبذ العمل دائما في الخفاء. ومن كثرة ما عاش في الشارع ومتاهاته وصعوباته التي يلاقيها في كل تحركاته أصبح هو نفسه مكانا عاما، هذه الحياة المتوحشة خلقت نظامها اللغوي المحدود معجميا ولكنه متفرق ومتقطع على نحو نهائي[59].

يجد الباحث عند الحديث إلى أطفال الشوارع عجزا عميقا على التعبير والفهم واستيعاب النسق القيمي الذي يتخاطبون به، ما عدى بعض الألفاظ المحدودة، القاتمة، والمستترة والعميقة في تعبيرها عن البؤس والشقاء الذي يعايشه طفل الشارع، هذه التسمية تقترب مما لاحظه بيار بورديو حين رأى أن اللغة تتراوح بين الرقة والخشونة، بين الصفاء والغموض، من الأعلى إلى الأسفل، فكلما اقتربنا من الطبقات العليا كانت اللغة نقية صافية، وكلما انحدرنا في السلم الاجتماعي نحو الطبقات الشعبية المهمشة اشتد عنف هذه اللغة وتوحشها وقتامتها، فطفل الشارع يمكنه أن يختفي خلف شبكة من الألفاظ الخاصة تمثل نسق قيم خاص ولغة خطاب خاصة لهذه الفئة، وتكون مقننة متمردة على اللغة الشرعية لغياب الأصل الاشتقاقي لها وحتى لا يمكن فك شفراتها إلا لمن اقتحم عالمها الخاص[60].

وهو الشيء البارز الذي وجدناه لدى هؤلاء الأطفال، فهم ينزعون إلى مجاراة الكبار تفكيرا وشكلا، ويزاحمون الراشدين في قرراتهم، بل ويصنعون لأنفسهم مجتمعا وقانونا يحكمهم، ضاربين عرض الحائط ما اعتادوا عليه من نظم وقوانين؛ فالطفل بحاجة إلى فهم مظاهر الحياة التي يُصادفها في المجتمع حتى يتطور محققا هدف النمو السوي، وهو نضج الشخصية؛ فهو يحتاج لمعرفة كيف يتصرف؟، وعندما نعاقبه بقسوة وشدة لا لزوم لها؛ فإننا نزيد من أسباب انحرافه وتشرده وخروجه إلى الشارع بحثا عن سبل العيش في فضاء يعتقده آمنا، ويحقق له بعض الآماني، فمشاعر التعاطف

الإنساني لدى أطفال الشوارع موجودة لكنها كامنة، خاصة عندما نقف أمام متسولين أو مشردين عاملين لا عائل لهم، ومن رمى بهم إلى متاهات الشارع هي أسباب مختلفة أهممها التفكك الأسري.

إن الطفل الذي شردته الظروف الأسرية القاهرة وتركته بلا مأوى أو ولي، يتقاذفه الخارجون عن القانون ليس في حقيقة الأمر إلا ضحية ظروف أسرية، وهو فرد عادي فيما لو عاش في أسرة مستقرة هيأت له أسباب العيش والأمان. وفي هذا السياق لابد من التفرقة بين وضعية الطفل في الماضي ووضعيته في الوقت الحاضر؛ فالماضي في ذاكرتنا وتصورنا له قدسية وشرف، والحاضر في إحساساتنا مؤلم حينا، ومريح أحيانا، ويميل الكثير من الآباء إلى إرغام أبنائهم على العيش وفق الماضي سعيا إلى التطابق في القيم[61]. وهذه العملية تلغي زمان الطفل كلية، وتقطع بينه وبين الحاضر، فلا ينظر لا في التحديات ولا في المخاطر المحدقة به، ولا يعمل حتى على فهمها وفهم أضرارها، وقد أفضت هذه العملية إلى إيجاد طفولة جاهلة بواقعها. ويؤكد محمد خروبات[62] على ضرورة الإصغاء للطفل وإعطائه فرصا للتعبير والتفكير والشرح والاستفسار، وقبل كل ذلك لابد من تكوين قابلية لدى نسبة كبيرة منهم لأن يستمعوا لآبائهم ومرشديهم.

إن طفولة اليوم هي طفولة يتيمة في عصرها الحديث؛ على الرغم من وجود الآباء والأمهات والمربين، والسبب يعود – كما يرى محمد وخروبات– " ..إما إلى كون الآباء والمربين مهملون لأبنائهم، غير مكترثين لهم، فالأب يُلقي المسؤولية كاملة إلى الأم، والأم تلقيها إلى الأب أو الأخ الأكبر أو يُلقيانها إلى المدرسة ، وتأتي التربية في هذا السياق تلقائية تتجاذبها الظروف والصدف، وإما أن الآباء منشغلون عن أبنائهم، فهم لا يقدرون المسؤولية تجاههم، ولكن الواقع استهلكهم بالمشاكل والأعمال، تارة يغيبون وتارة يحضرون ولا يكون حضورهم إلا شكليا، وإما أن الآباء اختاروا لتربية أبنائهم توجها مغايرا وهو الالتفات المطلق إلى تربية غير تربية المجتمع الذي يعيشون فيه..".

إن ظاهرة أطفال الشوارع في الحقيقة تعكس لنا أعراض الأنانية والتحسس لحاجات الآخرين، وتلاشي روح الجماعة وكأن فعل الخير أصبح مقصورا على إشارات معزولة في مناسبات أكثر عزلة، على الرغم من الحاجة الماسة للدعم المستمر والمتواصل لدعم هذه الفئة.

خاتمة:

لقد حاولت العديد من الدراسات المهتمة بفهم أبعاد وتداعيات ظاهرة أطفال الشوارع أن تقف عند أسباب الظاهرة وتجلياتها، وحاولت إيجاد الحلول والإمكانات الملائمة للتكفل بها وحصر بؤرتها، وقد تم توصيف الظاهرة وفهم أبعادها وأسبابها فهما دقيقا، ومن ثم تم في الكثير من الدراسات اقتراح الحلول الملائمة للتكفل بتداعياتها على المدى البعيد والقريب.

ويؤكد العلماء فيما يخص الإحصائيات حول أطفال الشوارع أنها ليست دقيقة جدا، لأن الاعتماد في الإحصاء خاصة يعود بالدرجة الأولى إلى المؤسسات القضائية والأمنية، وإحصاءات هذه الأخيرة تفتقر دائما إلى الدقة في توصيف الأرقام الحقيقية التي تعكس لنا بصدق حقيقة وبائية الظاهرة، ودائما ما تختفي خلف ما يسمى بالرقم الأسود، هذا من جهة ومن جهة، أخرى يعود إلى عدم دقة الإحصاءات، وإلى تضارب البيانات والإحصاءات بين المؤسسات المعنية وجديتها في

فهم عالم الطفولة والمخاطر المحدقة بها، وكذا إلى تداخل المفاهيم والتعريفات حول الظاهرة، فهناك بعض التقارير تشير إلى وجود ما يزيد عن 100مليون إلى 130 مليون طفل شارع في العالم.

أطفال الشارع كمشكلة في حقيقتها الواقعية يعود ظهورها إلى تكاثف جملة من العوامل المتعددة والمتشابكة والتي تتزايد في ظل تراجع الدور التربوي للأسرة واستقالة الوالدين عن أدورهما والذي على إثره يفقد الطفل أهم مؤسساته الإنسية، وبالتالي يتعثر في نقلته الحضارية وتواصله الإيجابي مع المجتمع كما تزداد المشكلة مع تراجع شعور الأسرة بالأمن المادي وأبنائها بالأمن النفسي، وبعض الأسر تدفع بالطفل إلى الشارع كي يساهم في نفقاتها ويتحول إلى فرد منتج في مرحلة نمائية، الأجدر فيها أن يُقدم له يد العون والمساعدة والحماية بكل أشكالها، أو تتخلى عن كفالته تاركة إياه للشارع.

وقد يتعرض الطفل في ظل حالة التفكك أو التصدع لأقصى درجات الإساءة، وكل هذا يصبغ تفاعلاته مع محيطه وتتكون لغته على الشاكلة التي أنشئ عليها، ويكون خطابه محملا بالعدوانية في سلوكاته وألفاظه ولغته تزداد قسوة، وغرابة وفيها من الكلمات المستهجنة والدخيلة على لغة المجتمع الشيء الكثير، فيعمل على تكريس هذه القيم التي يتعلمها من الشارع في كل أبعاد حياته.

ورغم كل هذا علينا كمجتمع جزائري النظر بتمعن لهذه الظاهرة التي عرفت تفشيا كبيرا خاصة في الآونة الأخيرة، والتي نربطها بالظروف الاجتماعية والاقتصادية، التي لا تزال العامل القوي على استفحال وتواجد وانتشار مثل هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة.

وحتى نتمكن من التصدي لها، لابد من فتح مجال واسع للبحث العلمي لدراسة ظاهرة أطفال الشوارع، قصد معرفة العوامل الفاعلة في تواجدها وانتشارها، والعمل على معالجتها بإيجاد السبل الفاعلة في الحد أو التقليص من تواجدها، وكذا العمل على وضع إستراتيجية بناءة من قبل مختلف الهيئات الحكومية التشريعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والقيام بعمل هدفه التوعية عن طريق مختلف وسائل الإعلام والاتصال للحد من استفحال انتشار ظاهرة أطفال الشوارع وتوضيح درجة خطورتها سواء على الفرد أو الأسرة أو المجتمع ككل، وكذا العمل على محاولة خلق ظروف اجتماعية أفضل لكل فرد –خاصة الفئات الاجتماعية التي تعاني الحرمان المادي والمعنوي– حتى لا ينعكس تواجدها سلبا على الواقع الاجتماعي الجزائري.

المراجع والهوامش

1- لعسري عبابسة، **حقوق المرأة والطفل في القانون الدولي الإنساني**، عين مليلة: دار الهدى، 2006، ص:117.

2- راضية بوزيان، **أطفال الشوارع في الجزائر: دراسة سوسيولوجية نفسية لظاهرة أطفال الشوارع وسبل مواجهتها** من خلال دراسة ميدانية طبقت ببعض ولايات الشرق الجزائري،**في مجلة علوم إنسانية**، مجلة دورية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية، الرقم الدولي: ISSN : 1875-0303 . السنة الخامسة: العدد : ربيع2008 – 5th Year: Issue 3 spring 7 . هولندا

3– مجموعة من الباحثين، **أطفال الشوارع**، القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2000، ص: 23.

4- عبد الحميد خزار، **القيم النفسية والخلقية من خلال محتويات كتب التربية الإسلامية والآداب، دراسة تحليلية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم علم النفس، جامعة وهران، الجزائر، 2006 ص:3.

5– منصور أحمد عبد المنعم، "**دور القيم في تعليم الجغرافيا في المدارس الثانوية**"، في. نورهان منير حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999، ص. 93.

6– محمود فتحي عكاشة، محمد شفيق زكي، **المدخل إلى علم النفس الاجتماعي**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية بدون سنة، ص. 145.

7– سميح أبومغلي، ومن معه، **التنشئة الاجتماعية للطفل**، الاردن: دار اليازوردي، 2002، ص. 169.

8–شبل بدران، **القيم التربوية في مسرح الطفل**،القاهرة: الدار الجامعية، 2002، ص: 61.

9– عبد اللطيف محمد خليفة، **ارتقاء القيم**، في مجلة عالم المعرفة، عدد 160، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ص: 90.

10– أمين المصري، **لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها**، لبنان: دار الفكر دون سنة، ص: 216.

11– محمد عاطف غيث، **المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي**، القاهرة: دار المعارف، 1965، ص: 136.

12– محمد عاطف غيث، **دراسات في المشاكل الاجتماعية**، الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، 1977، ص ص: 147، 148.

13– سناء الخولي (1979)، **الزواج والعلاقات الأسرية** ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1979، ص: 61.

14– شبل بدران (2002)، مرجع سابق، ص: 62.

15– المركز الوطني للوثائق التربوية، **الطفل بين الأسرة والمدرسة**، الملف 26، وزارة التربية الوطنية، الجزائر،2001 ص: 33.

16– أحمد علي كنعان، **أدب الأطفال والقيم التربوية**، دمشق: دار الفكر، 1990، ط1، ص: 204.

17– نفس المرجع ، ص: 204.

18– عبد اللطيف محمد خليفة، **ارتقاء القيم**، في مجلة عالم المعرفة العدد 160 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1991، ص: 200.

19– خزار عبد الحميد (2006)، مرجع سابق، ص: 47.

20– ضياء زاهر، **القيم في العملية التربوية**، القاهرة: دار النهضة ،1986، ص: 69.

21– عبد الحميد خزار (2006)، مرجع سابق، ص: 50.

22– إبراهيم إمام، **الاتصال الجماهيري**، القاهرة: لأنجلو المصرية، 1975، ط1، ص: 99.

23- أحمد محمد موسى، **أطفال الشوارع، المشكلة وطرق العلاج**، القاهرة: المكتبة العصرية، 2009، ص: 14.

24- أحمد فائق، **الأمراض النفسية والاجتماعية، دراسة في اضطراب علاقة الفرد بالمجتمع**، القاهرة: النسر الذهبي،1970 ص: 15.

25- المرجع نفسه، ص: 16.

26- أبوبكر مرسي محمد مرسي، **ظاهرة أطفال الشوارع**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2001، ص: 44.

27- المرجع نفسه السابق، ص:17.

28- أبو بكر مرسي محمد مرسي، مرجع سابق، ص:13.

29- المرجع نفسه، ص: 13.

30- مجدي جرس، **أبعاد سياسية للحد من عمالة الاطفال**، القاهرة: كاريتاس، 2007 ص: 28.

31- أبوبكر مرسي محمد موسى، مرجع سابق، ص: 41.

32- المرجع نفسه ، ص ص: 42، 43.

33- أحمد محمد موسى، مرجع سابق، ص: 15، 16.

34- مجدي جرس، مرجع سابق، ص: 31.

35- http: nodorforum.com/shawthread.php?p

36- عبد الرحمن عبد الله الصبيحي،**أطفال الشوارع**، السعودية: ردمك الرياض 2003، ص: 20.

37- http: nodorforum.com/shawthread.php?p

38-راضية بوزيان، مرجع سابق.

39- الأمركة على وزن العولمة وهي جعل كل دول العالم تابعة وتسير على النمط الأمريكي.

40-د. يوسف : **100 مليون من أطفال الشوارع بالعالم** في.www.Hewaraat.com/forum/showthread بتاريخ 12/نوفمبر 2008.

41--محمود سعيد الخولي، **العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات**، القاهرة: دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع2006، ص:21.

42-أحمد العمودي، **أطفال الشوارع ليسوا أبناء الوطن**، السعودية في www.islamoline.net/arabic بتاريخ 2007/06/11

43- عبد الرحمن عبد الله الصبيحي(2003)، مرجع سابق، ص: 21.

44- عزة محمود عبد المحسن، **أطفال الشوارع في العالم العربي، أسباب المشكلة، الحجم أ المواجهة، مدخل تحليلي**، القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية،2000، ص ص: 125-126.

45- عبد الرحمن عبد الله الصبيحي(2003)، مرجع سابق، ص: 21.

46- http:wwww.midele-east-online.com

47- راضية بوزيان(2008)، مرجع سابق.

48- المرجع نفسه.

49- جمعية بيتي، **منارة لقوارب الشارع، مقاربة لإشكالية الشارع**، المغرب: الدار البيضاء، 2009، ص : 07.

50- نفس المرجع السابق، ص:07.

51- محسن بوعزيزي، **طفولة مقصية:بحث في العلاقة اللوغس والايتوس**، في:
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=6146

52- محسن بوعزيزي، مرجع سابق ص: 5.

53- جمعية بيتي، **منارة لقوارب الشارع، مقاربة لإشكالية الشارع**، مرجع سابق ص : 15.

54- نفس المرجع، ص:16.

55- محسن بوعزيزي، مرجع سابق ص: 6.

56-نفس المرجع السابق.

57- نفس المرجع السابق.

58- محسن بوعزيزي ، المرجع نفسه السابق ص6.

59- المرجع نفسه السابق ص9.

60- المرجع نفسه.

61- محمد خروبات: **بناء الأسرة بين القيم والتحديات المعاصرة**، المغرب: إباج الدار البيضاء، 2001، ص: 112.

62- محمد خروبات، مرجع سابق ص: 112.